

الحلقة العاشرة

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، وأكدت على سلطانه الإلهي.

كل منّا يرغب مستمعي أن يعامله الناس بحبة واحترام، بلطف ورحمة، وأن يفهموا مواقفه ومشاعره، وأن يدافعوا عنه. هذا ما نطلبه دائماً من الناس الآخرين. لكن قليلاً ما نفكر أن نطبق نحن نفس هذه المعايير على الناس من حولنا. أي أن نقدم لهم المحبة والاحترام، ونعاملهم باللطف، ونظهر لهم الرحمة، وأن نتفهم مواقفهم وندافع عنهم. هل تعلم مستمعي أنه لو سلك الناس جميعاً بهذا المفهوم الصحيح من التعامل ما بين بعضهم البعض، لما وجدت المشاكل والخلافات والمشاجرات بين الناس، ولعم السلام والوئام بينهم.

وهذا يبدأ بالطبع من العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة، والأصدقاء، والزملاء في المدرسة أو العمل، وأيضاً العلاقة بين الجيران في شارع واحد، وحيّ واحد. فلو طبق الجميع الأسلوب الصحيح في التعامل، لعاش الجميع في محبة ووئام وسلام. ولأنعكس هذا على المجتمع ككل، وغداً بالتالي في أفضل حال. لكن الواقع مع الأسف هو عكس ذلك بالتمام. لهذا نجد المشاكل والمشاجرات اليومية بين الأفراد تقع باستمرار، وتسبب شروخاً عميقة في المجتمع.

ولقد تحدت المخلص المسيح عن هذا الموضوع بالذات من خلال موعظته الشهيرة على الجبل فقال: «فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمْ افْعَلُوا هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ النَّامُوسُ وَالْأَنْبِيَاءُ» (بشارة متى ٧: ١٢). هل تعلم مستمعي أن مفسري الكتاب المقدس أطلقوا على هذه الآية اسم: القاعدة الذهبية؟

مستمعي الكريم، إن فحوى هذه القاعدة الذهبية التي تكلم بها المخلص المسيح يقول: أنه يجب علينا أن نعامل الآخرين تماماً كما نريد نحن أن يعاملونا. وأضاف قائلاً: أن هذا هو الناموس والأنبياء. أي هذا هو ما تطلبه شريعة الله، وما دعا إليه أنبياء الله منذ

القديم. لقد كان المخلص المسيح يتحدث إلى الجموع اليهودية، والتي كانت تعرف كتب العهد القديم. ولهذا أراد أن يقدم لها قاعدة تلخص كل ما جاء في الشريعة التي أنزلها الله على كليمه النبي موسى، وكل ما جاء في رسائل الأنبياء للشعب قديماً.

إن هدف الناموس أو الشريعة هو أن يجعل الإنسان محباً للآخرين كمحبته لنفسه «لأن كل الناموس في كلمة واحدة يكمل. تحب قريبك كنفسك» (غلاطية ٥: ١٤) ولم يختلف هدف أنبياء العهد القديم عن هذا المقياس، بل بالعكس أكدوه ودعوا إلى صنع الحق أي العدل، ومحبة الرحمة. لقد أكدت إذن هذه القاعدة الذهبية التي قالها المسيح، على ضرورة معاملتنا للناس الآخرين، كما نريد نحن أن يعاملونا. وبتعبير آخر أكدت على أهمية محبة الآخرين كنفوسنا. فعندما أنت تحب إنساناً آخر كنفسك، تطلب الخير له، وتعامله بكل احترام ولطف، وتتفهم مواقفه.

إن عكس المحبة هي الأنانية ومحبة الذات. فمن السهل جداً أن يكون الإنسان أنانياً، يطلب كل شيء لنفسه دون النظر للآخرين وحاجاتهم، إذ هذه هي طبيعة البشر الخاطئة. لكن من الصعب جداً أن يحب الآخرين كنفسه، ويعاملهم كما يود هو أن يعاملونه. ولنلاحظ أنه ليس خطأ أن نحب نفوسنا، لكن علينا أن نحب الآخرين كمحبتنا لنفوسنا. صحيح أن هذه القاعدة الذهبية التي وضعها المخلص المسيح للبشر جميعاً، هي مقياس عالٍ جداً، ومستوى صعب لكنه ليس بالمستحيل.

مستمعي العزيز، لقد قدم لنا المخلص يسوع المسيح أمثلة عملية، لكي يساعدنا على تطبيق هذه القاعدة الذهبية. فنجده يتساءل قائلاً: «وإن أحببتهم الذين يحبونكم، فأبي فضل لكم؟ فإن الخطاة أيضاً يحبون الذين يحبونهم. وإذا أحسنتم إلى الذين يحسنون إليكم، فأبي فضل لكم؟ فإن الخطاة أيضاً يفعلون هكذا»... ثم أضاف قائلاً: «بل أحبوا أعداءكم، وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً، فيكون أجركم عظيماً وتكونوا بني العلي، فإنه منعم على غير الشاكرين والأشرار». وختم حديثه قائلاً: «فكونوا رُحماً كما أن أبائكم أيضاً رحيم» (لوقا ٦: ٣٢-٣٥، ٣٣-٣٦).

لقد قارن هنا المسيح بين موقفين، موقف الذين يدعون للتدين وموقف الناس الأشرار الآخرين. فإذا كان المتدينون يتصرفون كباقي الناس فأبي نفع لهم؟ وإذا كانوا يحبون فقط الذين يحبونهم، ويحسنون إلى الذين يحسنون إليهم، فأبي فضل لهم؟ أو ما هو الفرق بينهم وبين الناس الآخرين؟ وبماذا يتميزون عنهم؟ ولنلاحظ قول المسيح: أنه علينا أن نحب حتى أعداءنا، وأن نحسن إليهم. وعندئذ نكون

بني العليّ أو من أولاد الله. وفي ختام حديثه أكد على موضوع هام جداً، وهو أنه علينا أن نكون رحماء لأن الله الآب السماوي هو رحيم أيضاً.

وهنا نأتي إلى السؤال: كيف بإمكاننا أن نكون رحماء؟ وأن نحب الآخرين كنفوسنا؟ وللجواب نقول: إن هذا متوفر عندما نؤمن بالمخلص المسيح الذي أعلن محبة الله ورحمته لنا جميعاً، عندما قدّم نفسه فدية من أجلنا على الصليب. عندها سنغدو من أولاد الله المحب، ونصبح محبين ورحماء؟

ألا ترغب مستمعي أن تطبّق القاعدة الذهبية التي وضعها المخلص المسيح؟ بأن تعامل الآخرين كما ترغب أن يعاملوك، وأن تحبهم بالتالي كنفسك؟ لم لا تأتي الآن بالإيمان إلى المخلص المسيح، الذي وحده يقدر أن يبدّل حياتك ويغفر ذنوبك، ويجعلك من أولاد الله المحبين والرحماء؟